الجهاد سبيل العزة

أسامة بن لادن



مؤسسة النازعات
Annazi'at

ذو القِعدة
١٤٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الجهاد

سبيل العزة

الشيخ

أسامة بن لادن رحمه الله

النازعات

ذو القعدة ١٤٤٧

تمهيد

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه

أما بعد:

هذه كلمة للشيخ أسامة بن لادن تقبله الله عند قفوله من أفغانستان بعد معركة جلال آباد، وقد ألقاها في آذار من العام ١٩٩٠م، أي في شعبان من العام ١٤١٠، وذلك بنص مقدم المحاضرة الذي قال في خاتمتها: «وتعرفون أنّ من اللجان الرسمية التي افتتحت أخيرًا في الطائف هي هيئة الإغاثة الإسلامية، وهذه مقرها أمام مكتب العمل في شارع الستين. في شهر رمضان القريب بإذن الله سيكون دوامها بعد صلاة التراويح»، ومما يقطع بكون المحاضرة في شعبان قول الشيخ أسامة بن لادن في نفس المحاضرة: «فمن أولئك أحد إخواننا من المدينة المنورة، اسمه خالد محي الدين، أكرمه الله في يوم ١٩ شعبان، أي قبل سنة من الآن»، وقد أقيمت في الطائف.



و وهذه المحاضرة ضمن «مجموعة تسجيلات صوتية لجماعات إسلامية أصولية – Islamic fundamentalist audio recordings collection» الموجودة في المكتبة الرقمية في جامعة «ييل» الأمريكية (Yale)، حيث أنه

بعد سقوط الإمارة الإسلامية وفي مطلع العام ٢٠٠٢م عثرت شبكة «CNN» على مجموعة من الأشرطة الصوتية (الكاسيت)، في المجمع الذي كان يسكنه الشيخ أسامة بن لادن وصحبه في قندهار، وبعد أن بقيت تلك المجموعة لديهم لفترة معينة، توصل المديرون في شبكة «CNN» إلى أهمية إيداع تلك التسجيلات الصوتية إلى مجتمع أكاديمي ليصل إليها الباحثون، حيث حولت إلى تنسيق رقمي وغدت مفتوحة للجمهور. ويبلغ عدد الأشرطة حوالي ١٥٠٠ شريط، وهي أشرطة متنوعة لمشايخ مختلفين –حكوميين وغير حكوميين– في مواضيع إسلامية مختلفة، منها دروس علمية وخطب، وقصائد، ومحاورات، وتلاوة للقرآن، وغيرها[١]. ومن بينها هذه المحاضرة التي كانت في الشريط رقم (٤٩١). ولم نقف على عنوان المحاضرة الأصلي؛ فاخترنا لها هذا العنوان «الجهاد: سبيل العزة».

وما كان بين معقوفين [ ] إضافة منا ليستقيم المعنى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد بن عبد العزيز الهجري

---

(1) Flagg Miller, The Audacious Ascetic: What the Bin Laden Tapes Reveal About .Al-Qa'ida (New York: Oxford University Press, 2015), 102.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

.......[1]، والقائل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩]، والقائل: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [التوبة: ٥]، والقائل: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: ١].

فالحمد لله الذي أمرنا بالقتال الذي يعز به هذا الدين وأهله، ويحفظنا من شر الكفار. فالنفوس الكافرة لا تستطيع معايشة المسلمين، وهذه النفوس الأمارة بالسوء لا تستطيع إلا أن تعتدي على المسلمين ولو لم يحملوا السلاح. وأكبر دليل عندما كان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام في مكة، كانوا لا يحملون السلاح ولم يؤذن لهم بحمل السلاح بعد، فكان الكفار يعتدون على المسلمين ويقتلونهم، وما يخفى عليكم ما أصاب آل ياسر، حتى كان رسول الله ﷺ يقول: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»[2]، وقُتلت سمية رضي الله عنها دون أن يحمل المسلمون السلاح.

---

[1] هكذا بدأ الشريط الذي بين أيدينا.

[2] المستدرك (٥٦٤٦).

فالكفر لا بد إلا أن يعتدي على المسلمين إن لم يحملوا السلاح، لذا أمرنا الله ﷻ بقتالهم كما مر معنا في الآيات. وعندما يحمل المسلمون السلاح ويجاهدون في سبيل الله يحفظون هذا الدين، ويحفظون **لا إله إلا الله**، ويحفظون مقدساتهم. فقد منّ الله على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح المسجد الأقصى بالجهاد، عندما ارتفعت راية الجهاد تسلم المسلمون مسجد الأقصى، وبقي في أيديهم ما يقارب خمسة قرون ينعم في ظل الإسلام. فلمّا تركوا الجهاد وتواكلوا وذلوا وخنعوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، دخل الصليبيون الكفرة إلى أن وصلوا بيت المقدس في العام ٤٩٢ هجريًّا. فيقول أحد المؤرخين من الكفار: إنهم قُتلوا في المسجد الأقصى وفي ساحاته أكثر من ٧٠ ألفًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبَوا من نساء المسلمين مثل ذلك العدد، وبقي المسجد الأقصى في أيديهم ما يقارب قرنًا كاملًا.

فما استطاع المسلمون أن يردوه إلا عندما قيض الله ﷻ لهذه الأمة رجلًا يرفع راية الجهاد عالية، ويرسل مناديب ينادي في المسلمين: «يا خيل الله اركبي»، فتوافد المسلمون من كل حدَب وصوب، ورفعوا راية التوحيد وجاهدوا حتى استردوا مسرى رسول الله ﷺ. فجزى الله خيرًا صلاح الدين، وجزى الله خير الجزاء هو ومن كان معه من المؤمنين

المجاهدين في سبيل الله. وبقي المسجد الأقصى في أيدي المسلمين عدة قرون، إلى أن ترك المسلمون الجهاد مرة أخرى، فلما تركوا الجهاد سقط مسرى رسول الله ﷺ مرة أخرى في أيدي اليهود. ولكن هذه المرة كُتب في صحائفنا أنه سقط ونحن أحياء، نسمع ونرى ما يصيب هذا المسجد الأقصى من أيدي هؤلاء الكفرة الطغاة اليهود ومَن يعاونهم من النصارى والمشركين. فنرجو الله أن يعيننا حتى نبيض صحائفنا ونزيل هذا العار الذي سُجل في صحائفنا في الدنيا والآخرة، حتى يتوب علينا ويدخلنا جنانه بإذن الله.

وهكذا عندما يرفع المسلمون راية الجهاد يستردوا دينهم وعزتهم، وعندما تُرمى هذه الراية يسيطر الذل والهوان على المسلمين. وكذلك أصاب المسلمين في القرن السابع الهجري، أن دخل التتار –أخزاهم الله– من مشرق العالم الإسلامي حتى وصلوا إلى بيشاور في باكستان، وكان المسلمون يستصرخون إخوانهم في العالم الإسلامي فلا سامع ولا مجيب، فما زالوا يمشون حتى وصلوا إلى كابل، وسقطت أرض المسلمين أرضًا أرضًا وقبيلة قبيلة، ولا سامع ولا مجيب. فالناس قد تواكلوا وتركوا الجهاد، وشبوا على طلب علم الدين والدنيا وحمل الأقلام، ولم يشبوا على حمل الرماح مع الأقلام، فتوانوا عن الجهاد حتى وصل التتار في جيش عظيم وأحاط ببغداد عاصمة الخلافة العباسية.

فعند ذلك غدر بهم ذلك الرافضي ابن العلقمي، وأقنع المتواكلين القاعدين عن الجهاد -وقد كان وزيرًا للخليفة- أن ينزل على ذمة هؤلاء التتار، ونزلوا على ذمة التتار، ونزلوا على أن يصطلحوا، وهذا شأن مَن لم يتعلم الجهاد، يرضى بالذل ويرضى أن ينزل على ذمة الكفار، فمن شبّ على شيء شاب عليه. فعندما نزلوا على ذمة الكفار، يروي ابن كثير رحمه الله أنه حصلت كارثة عظيمة ومصيبة هائلة، فما إن وصل الخليفة إلى التتار حتى قتلوه، ثم قتلوا قاضي القضاة -كما يسمى عندهم- وقتلوا القضاة وقتلوا طلاب العلم وأشراف الجند، وسبوا بنات الخليفة (فاطمة ومريم وخديجة) وهن من حفيدات العباس رضي الله عنه، سبوا نساء قريش خير نساء العالمين إذ اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وبقي السيف -كما يروي ابن كثير رحمه الله- يعمل في المسلمين أربعين يومًا، لا يدفعون عن أنفسهم من الذل الذي أصابهم، حتى كان الرجال يهربون إلى دورهم ويقفلون عليهم الأبواب، فكان التتار يقتحمون عليهم الدور فيجدونهم مع النساء، لأنهم كانوا طول حياتهم مع الخوالف، مع النساء والأطفال، ما ألفوا حمل السلاح، فكانوا يهربون. فعندما يصعد التتار يجدونهم مختبئين في الأسطح، فكانوا يذبحونهم على الأسطح، وكانت ميازيب بغداد تسكب دمًا ولا حول ولا قوة إلا بالله. وتقول أقل الروايات إنه قتل من المسلمين أكثر من ٨٠٠ ألف.

وكذا أصاب المغرب الإسلامي عندما تركوا الجهاد، حكام الطوائف في الأندلس، بعد أن بقي فترة طويلة في أيدي المسلمين اهتموا بعلوم الدين والدنيا إلا الجهاد لم يكن له بواكي. فعند ذلك استأسد عليهم النصارى هؤلاء الكفار، واستعلوا على المسلمين فغزوهم في دورهم، إلى أن لم يبق من دول الطوائف إلا الحمراء وقصر الحمراء، وخليفتها الذي لم يألف الجهاد محمد بن محمد، فرضي أن ينزل على الصلح على ذمة الكفار على أن يتركوه دون أن يقتلوه وأهله. فخرج من الحمراء، حتى أصبح على بعد مسافة منها نظر إليها وحز ذلك في نفسه وزفر، وما زالت تلك المنطقة تسمى إلى الآن بـ«زفرة المغربي»، فنظر إلى الحمراء وبكى، فوبخته أمه وقالت له: «ابكِ مثل النساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال». وأزيل الإسلام وأهله من أرض الأندلس عندما ترك المسلمون الجهاد.

وهكذا حال العالم الإسلامي، عندما يرفع راية الجهاد يعزهم الله، وعندما يتركون راية الجهاد تصيبهم الذلة مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ: «**إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِم ذُلًّا...**»[1]. فالأمة الإسلامية

---

[1] المسند (٤٨٢٥).

موعودة بالعزة وبالنصر إن حملت راية الجهاد، وموعودة بالذل إن تركوا هذه الراية. وأما العلم الذي لم يعملوا به فالعلم مطلوب، ولكن العمل به هو الغاية منه حتى نلقى الله وهو راض عنا إن شاء الله. ففي بغداد - وهي كانت منارة الدنيا في علوم الدين والدنيا- أخذت الكتب وألقيت في النهر حتى تعبر عليها خيل التتار، وبقي النهر أسود أربعين يومًا من الحبر الذي تحلل. وأما في الأندلس وما أدراك ما فعل الكفار في المسلمين، كانوا يأخذون هذه الكتب التي لم يُعمل بها ويحرقون المسلمين بها ولا حول ولا قوة إلا بالله. فالجهاد امتدحه الله لعظيم منفعته على هذه الأمة في الدين والدنيا وسماه ذروة سنام الإسلام.

والناظر المتأمل في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ وفي مواقف الصحابة ﷺ والسلف الصالح، ليقف مشدوهًا أمام حشد هائل من الآيات والأحاديث ومواقف السلف في التحريض على الجهاد، وفي الوعيد فيمن يترك الجهاد دون عذر. ولذلك نرى صحابة رسول الله ﷺ يتشوقون إلى الجهاد أشد الشوق، كما في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك يقول: «غاب عمي أنس بن النضر عن أول قتال قاتل فيه رسول الله ﷺ»، فاسمعوا ماذا حدث عندما غاب عن قتال، يروي أنس يقول عن عمه: «فشق عليه ذلك»، أي تأثر ﷺ إذ غاب عن أول قتال في سبيل الله، وما أدراكم ما القتال في سبيل الله، تُحمل الرؤوس على الأكف

ابتغاء مرضاة الله وتبذل الدماء وتراق في سبيل الله. تخلّف عن ذلك فلم يفرح بذلك، فالفرح بذلك من صفات المنافقين ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل تأثر وحز في نفسه ذلك. فقال ﷺ: «يَا رَسولَ الله غِبتُ عن أول قتالٍ قَاتَلْتَ فِيهِ الكُفَّارَ، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ مَشْهَدًا -أي من قتال الكفار- لَيَرَيَنَّ مَا أَصْنَعُ». فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، فقال ﷺ: «أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي المُسْلِمِينَ- وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ-». فاستقبله سعد بن معاذ فقال: «يَا سَعْدَ بنَ مُعاذٍ، وَاهًا لِريحِ الجَنَّةِ إِنّي لَأَجِدَهُ دُونَ أُحُدٍ». وفي رواية أخرى: «الجنة ورب النَّضْرِ.. الجنةُ وربِّ النَّضرِ إِنِّي لَأَجِدَها دُونَ أُحُدٍ»[1]، أي يجد ريحها ﷺ. فأكرمهم الله ﷻ بهذه الكرامة، هذه الجنة التي نتمنى أن يدخلنا الله وإياكم فيها، شم رائحتها في الدنيا، ولا تشم رائحتها إلا من مسيرة كذا وكذا عام، لعظيم منزلة الجهاد.

وكذلك كان صحابة رسول الله ﷺ يتمنون هذه الأمنية، فبأمثال هؤلاء الصحابة ﷺ دخل الناس في دين الله أفواجًا، ودخلت أراضي الناس في هذا الدين، وبمثل هؤلاء الصحابة ﷺ في الاقتداء يُسترجع مسرى رسول الله ﷺ. والأحاديث في هذا كثيرة جدًا أرجو أن تراجعوها في «زاد المعاد»

---

[1] النسائي (١١٣٣٨).

وفي كتب الصحاح في «البخاري» و«مسلم» وفي «رياض الصالحين» وما شابه ذلك من كتب السنة. ولكن أذكركم من فضل الله ﷻ، أنه في هذا الزمن الذي ظن كثير من الناس أنّ الدنيا قد طغت على الناس، وأنه لا يوجد من أحفاد أولئك الصحابة رضي الله عنهم من يقتدي بهم، فمن فضله ﷻ أننا وجدنا في هذا العصر مَن يقتدي بصحابة رسول الله ﷺ وتشوقهم للقتل في سبيل الله اقتداء برسول الله ﷺ. وسأحدثكم عن طرف من أخبارهم، ولا سيما أنهم من إخوانكم ومن أبنائكم، حتى يدب فينا أمل الجهاد ويدب فينا الأمل لاسترجاع مسرى رسولنا ﷺ.

فمن أولئك أحد إخواننا من المدينة المنورة، اسمه **خالد محي الدين**، أكرمه الله في يوم ١٩ شعبان، أي قبل سنة من الآن، كان الإخوة يستعدون للهجوم على مركزين من مراكز العدو، وكنا يومها من فضل الله أكثر من ١٢٠ أخًا، وقد اصطفوا بجوار بعضهم صفوفًا حتى يوزعوا على مواقعهم وأسلحتهم. وكانت الشمس في الصباح ترمي بشعاعها عليهم وتلمع أسلحتهم وتنضر وجوههم، وجوه ما أجمل أن تراها، تركت الدنيا ابتغاء مرضاة الله ﷻ، اجتمعوا من أقاصي العالم الإسلامي ومن ديار المسلمين في كل مكان، لم تجمعهم دنيا وإنما جمعتهم كلمة **لا إله**

إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ذهبوا يدافعون عن هذه العقيدة بصدق بدمائهم وأموالهم فجزاهم الله خير الجزاء.

والإخوة مصفوفون، وكان أحد إخواننا اسمه **أبو عبيدة**، أخ مصري وهو يحفظ كتاب الله، كان مسؤولًا عن توزيع الإخوة على مواقعهم، يذكر الأسماء حسب المجموعات. فبدأ يوزع مجموعة الهاون -وهو سلاح بعيد المدى لضرب الكفار-، ثم مجموعة مدفع ٨٢، ثم مجموعة الأسلحة الرشاشة المضادة للطائرات والأسلحة القريبة، ثم مجموعة الاقتحام على العدو. وما أدراك ما الاقتحام على العدو، قد أنزل الله ﷻ في قلوبهم الرعب -هؤلاء الذين يرعبون الناس، المسلم والكافر والبر والفاجر على حد سواء إلا من رحم الله- أنزل الله في قلوبهم الرعب بفتية الإيمان من المجاهدين الأفغان ومن إخوانهم الذين لحقوا بهم من المسلمين العرب. فوضعوا حول معسكراتهم إطارًا أمنيًّا من الألغام، زرعوا في الأرض ألغامًا حتى لا يذهب أحد إليهم. ومع ذلك صدقوا يا إخوتي، كان من أصعب الأمور عند التقسيم -الذين نذكر أسماءهم في أن يذهبوا يقتحموا على الأعداء- كل واحد من الإخوة يريد أن يكون هو الذي يقتحم على الأعداء، وفي ذلك بتر الأقدام والإصابات الخطيرة، ولكن يُرغّبهم في ذلك أحاديث رسول الله ﷺ وجنة الله ﷻ.

فعندما ذكر مجموعة الاقتحام وهو يذكر الأسماء ذكر اسم الأخ **خالد محي الدين**، والأخ **خالد** عادة يكون له مهمة أخرى ويساعدنا في بعض المهام الأخرى، فرجوت من الأخ **أبي عبيدة**، قلتُ: «لو تعفي الأخ خالد من هذا، لأننا نريده في مهمة أخرى»، وأنا لا أدري يشهد الله أنّ الأخ خالد منذ يومين وهو يحاول مع **أبي عبيدة** أن يضع اسمه في الإخوة الذين يقتحمون على الكفار رغبة فيما عند الله ﷻ. فلمّا ذكرتُ له ذلك حاول الأخ **خالد** أن يثنيني عن عزمي، وقال: «يا **أبا عبد الله** أرجوك»، قلت: «إن شاء الله تصبر تكون معنا في مهمة أخرى». واستمر الأخ أبو عبيدة ينادي أولئك الرجال يوزعهم على مهامهم، ثم جاءت عيني على عين الأخ **خالد**، والله يا إخوة وإذا بعينيه تدمع، لأننا لم نسمح له أن يذهب في سبيل الله أن يقتحم على الكفار رغبة فيما عند الله ﷻ. وقد جاء عن حديث رسول الله ﷺ أنّ رجلًا سأله: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ؟ فقال: «**غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا**»[1]، أي يتجرأ على الكفار ويدخل لقتالهم حاسرًا. فأولئك الرجال، إن بإذن الله شبّ في هذه الأمة مَن يقتدي بصحابة رسول الله ﷺ، بمثل هؤلاء يُسترجع مسرى رسولنا ﷺ.

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (١٩٤٩٩).

ثم كانت له كرامة أخرى عجيبة، كان في مهمة أخرى في الحج هذا الماضي الذي انصرم، كُلف بمهمة وأثناء سيره مع بعض إخوانه في تلك المهمة أُصيب بانفجار، ومن أثر الانفجار طار إلى السماء بمكن مترين أو ثلاثة وسقط، وهو في تلك الحالة، وقد بُترت ساقه وبُقرت بطنه وأصابته شظايا بسيطة في يده. يحدثني الإخوة الثلاثة الذين كانوا معه عندما أتوا به، قالوا: «في تلك الحالة أول ما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»، ثلاث مرات يكررها»، ثم طلب النجدة. فجاء الإخوة ووضعوا عليه شالًا على بطنه وأرجعوا بعض أمعائه إلى بطنه وهو لا يدري، ينظر إلى السماء ووضعوه على نقالة. يقول الإخوة: «مكث معنا ثلاث ساعات»، فكان معهم الدكتور صالح[1]، وهذا الأخ خالد

---

[1] الطبيب صالح الليبي تقبله الله، قيل إنه كان الطبيب الوحيد المتفرغ داخل أفغانستان بطولها وعرضها، ذهب إلى بلخ، وحينما وصل اكتشف وصول الفرنسيين قبله بثلاث سنوات وكانوا قد أقاموا مستشفى كاملًا ولم يكن مع صالح أي معدات، وتنازع الفريقان، وترك الفرنسيون المنطقة -بحسب ما نقله نجم الدين آزاد (عادل المقاطي العتيبي)- واختلف الناس إلى صالح وقيل جرت كرامات على يديه. كان تقبله الله يقضي الوقت الطويل ليلًا ونهارًا يستقبل أفواج المرضى والجرحى، ولا يدخل عملية جراحية إلا يستخير الله قبلها. يروي حمد القطري إصابة أحد القادة الأفغان ذات معركة انشق بها بطنه، وكان المشفى بعيدًا عن تلك المنطقة، فأدخله المجاهدون خندقًا وأتوا بالسراج لصالح وصلى تقبله الله، ثم بدأ يعالج القائد ويزيل الشظايا ويربط الأمعاء، ويخيط البطن على نور السراج الخافت وتحت دوي القذائف،

حبيب إلينا جدًّا جدًّا، من الإخوة المحببين جدًا إلى الإخوة، فلمّا رأى [الدكتور صالح] حالته علم أنه سيقضي أجله، نرجو الله أن يكون شهيدًا، فبكى عليه كثيرًا. فيقول له الأخ خالد: «يا دكتور صالح، يا دكتور صالح لا تبكي، الأمر هين، إصابات بسيطة في يدي لا تبكي»، وهو لا يعلم أن بطنه مبقورة ورجله مبتورة من الكرامة التي أكرمه الله بها إذ لا يحس الشهيد بالألم، كما صح عنه ﷺ في الحديث الصحيح: «**لَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ أَلَمِ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ**»[1]. فنرجو الله أن يجعله في الفردوس الأعلى هو وإخوانه إن شاء الله.

وكثير من هؤلاء الشباب الذين أعادوا إلينا الأمل بأن نرفع راية التوحيد وأن نرفع راية الجهاد خفاقة إن شاء الله.

بهذه المناسبة أحدثكم عن بعض أبناء هذا البلد، عن بعض أبناء الطائف، ولعلكم تعرفون الأخ **أحمد الزهراني** عليه رحمة الله. وهذا كانت له كرامة كما جاء عن رسول الله ﷺ، إذ جاءه رجل فبايع رسول الله ﷺ على الإسلام والقتال، فعندما سأله رسول الله ﷺ بعد أن وزعوا الغنائم قال: «مَا عَلَى هَذَا بَايَعْتُ، وَإِنَّمَا بَايَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى بِسَهْمٍ ها هنا

ثم نزل القائد إلى بيشاور وعولج هناك، ثم رجع سليمًا معافى يقود المعارك ضد الشيوعيين. جاهد في معارك جلال آباد وفيها قتل في ثمر خيل عام ١٩٨٩م تقبله الله في الصالحين.

[1] النسائي (٣١٦١).

فَيَخْرُجُ مِنْ هَا هُنا». فقال ﷺ: «**إن تَصْدُقِ الله يَصْدُقْكَ**». فما هي إلا أن نادى منادي رسول الله ﷺ للجهاد، فخرجوا، ثم أُتي به بعد أن انتهت المعركة وهو محمول، فقال رسول الله ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**»[1]، كان قد أصابه السهم حيث أشار وخرج من حيث أشار، لصدقه مع الله ﷻ.

وقد أصاب أخونا **أحمد الزهراني** مثل هذا، فكان كثيراً ما يسأل من الإخوة ومن أهله أن يدعوا له بأن يُصاب في صدره ويشير إلى هذه المنطقة. فلمّا كان يوم ١٩ شعبان وقد كان يوم جمعة ونتحرى أيام الجمع، نلتمس بذلك دعاء المسلمين على المنابر أن ينصر الله المجاهدين، ثم نغزو بعد ذلك. فما هي إلا دون الغروب بساعة عند شمس الأصيل، وإذ أول من يصاب من إخواننا أخونا **أحمد الزهراني**، فلمّا حُمل وأُتي به، أتينا نريد أن نضعه في لحده، يشهد الله يا إخواني، كنت ممن وضعه في لحده، وإذا به سليم معافى إلا من حيث أشار، كانت الشظايا قد جاءته في صدره حيث أشار. نرجو الله أن يكون قد صدق الله فصدقه ويدخله جنانه بإذن الله.

والحديث عن الشباب الذين ذهبوا للجهاد مع إخوانهم ويقفون مع إخوانهم المجاهدين يطول ولا يسعه المقام، ولكن أذكر نبذة عن عمل

---

[1] النسائي (١٩٥٣).

جماعي هناك لإخوانكم، وكيف ذلوا هؤلاء الروس الكفار الذين يرعبون الناس والذين يستخدمون ضد المسلمين في مجالس الأمن حق الفيتو، هم هناك والله أذل من أذلاء. الذي يستخدم هناك حق الفيتو، ليست الدول العالمية مجتمعة، قائد للمجاهدين مغمور لا يعرفه كثير من الناس، يترجاه الروس أن يوقف القتال ويسألونه باسم الدين وباسم دماء المسلمين أن توقف القتال ونعطيك ما تريد، فهو الذي يتخذ حق الفيتو عندما رفع راية **لا إله إلا الله** والسلاح بجانبها للدفاع عنها وعن أهلها. هكذا تكون الكرامة وهكذا تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين كما أمرنا الله ﷻ بذلك.

فمن أعمال الشباب المسلمين العرب الذين نفروا لله ﷻ، في رمضان الماضي جاء الكفار بقضهم وقضيضهم على أهم ممر من الممرات التي تدخل المدد للمجاهدين في داخل أفغانستان، فجاءوا بأساطيلهم الجوية والبرية ومكثوا يقصفون المنطقة أكثر من ٢١ يومًا. قنابل لو أدت مفعولها لم يبق منا أحد، ولكن الله لطيف بعباده. والله يا إخوة بعض القنابل محيطها أكثر من ٤٠ مترًا وأكثر من ٥٠ مترًا محيط القذيفة الواحدة عندما تنفجر في الأرض، يقصفون بوحشية عجيبة، حتى اطمأنوا من كثرة ما قصفوا أنه لم يبق في هذا المعسكر أحياء لا من الإنس ولا من الحيوانات. فيرسلون رجالهم مما يسمى بالقوات الخاصة، فإذا وصلوا خرج

لهم شباب الإيمان، شباب والله هم في الثانويات، من أبنائكم، خرجوا من الكهوف والخنادق يا أعداء الله، يقاتلونهم بالأسلحة الخفيفة، فيقتلونهم ويفرون، عدة مرات.

فكان من آخرها يوم ١٠ شوال، كان يوم جمعة، فقام العدو بقصف مركز بالطائرات وبمدافع الهاون الثقيلة. قذيفة الهاون الثقيل ٢٤٠ ملم يصل وزنها إلى ١٠٠ كيلو، وقذائفنا يصل وزنها إلى ٤ كيلو وربع، ولكن ضرهم الله بهذه القذائف الصغيرة ولم يضرنا ﷻ بتلك القذائف الكبيرة من فضله سبحانه. فاستمر القصف الشديد على المعسكر حتى لا يسمحوا لنا بالحركة، وأثناء هذا القصف كان أعداء الله يرسلون القوات الخاصة تتقدم حتى تستولي على المعسكر ونحن ما بين قتيل وجريح كما يظنون، أخزاهم الله.

من فضل الله تركنا ثلاثة من إخواننا أمام المعسكر بمسافة لا بأس بها كنقطة إنذار، فلما اقتربوا هؤلاء أخبرنا الإخوة باللاسلكي، فقلنا لهم الزموا مكانكم، وأرسلنا إليهم تسعة من الإخوة من الشباب الصغار الذين ما تدربوا في كليات عسكرية، وإن كان ذلك مطلوبًا لأنه من الإعداد، ولكنهم شباب وقر في قلوبهم الإيمان فصدقه العمل ونصرهم الله إذ نصروه. فخرجوا إليهم تحت ذلك القصف الشديد، ونزل التسعة إلى الثلاثة، وتوزعوا مجموعتين. وبقيت مع أحد الإخوة وكان في قبلها بعشرة أيام قد

قتل ستة من الروس «الكوماندوز»، شاب يحمل الثانوية من أهل الشرقية اسمه محمد العزمان. فمكثت أنا والأخ محمد في أعلى الجبل في نقطة من نقاطنا تسمى «بدر»، ونزل الإخوة ليلاقوا هؤلاء الأعداء الطغاة المتجبرين. فمكث الخمسة من الإخوة على جبل ينتظرونهم وذهب سبعة يلتفون عليهم -الله أكبر على هذه الشجاعة والجرأة التي أنزلها الله في قلوب هؤلاء الشباب-. فمكث الخمسة ينتظرون وإذ بالأعداء يتقدمون، فشعروا بوجود الإخوة وهم على قرب ليس ببعيد، فتبادلوا رصاصة أو رصاصتين، فعلموا بوجود الإخوة ولم يقتل من الإخوة أحد. ثم أخزاهم الله -لأنهم قد تدربوا عسكريًّا- قاموا بتكتيك لم نكن نعلمه، فالذين في المقدمة بدأوا يطلقون أسلحتهم الرشاشة الروسية ما يسمى بـ«الكلاكوف»، الطليعة ٢٠ منهم، ثم سكتوا وكمنوا، ثم الذين يلونهم أطلقوا وكمنوا، ثم الذين يلونهم أطلقوا وسكتوا. فظن الأخ **محمد الصخري** -من هنا من الطائف- ظن أنهم فروا، أوهموا الإخوة أنهم فروا وهم لم يفروا، كامنون يريدون أن ينتظروا الإخوة يركضون خلفهم حتى يقتلوا إخواننا. ولكن الله لطيف بعباده، منّ الله على أحد إخواني -رغم قلة خبرتنا العسكرية- أن يقول للإخوة انتظروا قليلًا. فما هي إلا لحظات وإذ بهم يهجمون هجمة رجل واحد، يمشطون الأشجار التي أمامهم

بشكل مرتب لا يصيب بعضهم بعضًا. عند ذلك ما إن برزوا حتى ضربهم إخواننا بالرصاص، وكان ممن شرفه الله بقتل الكفار هؤلاء الشباب، كان منهم أخونا **أبو سالم المأربي**، من مأرب من اليمن الشمالي. فما إن برز طاغوتهم العتل الجواظ المتكبر حتى ضربه برصاصة جاءت في صدره فأردته قتيلًا من فضل الله ﷻ، وولى الباقون فرارًا، والشباب عند ذلك قاموا يركضون خلفهم بأسلحة الكلاشينكوف وبالقنابل اليدوية. هؤلاء الذين تسمعون ما يسمى بالقوى العظمى، كذبوا والله، وإنما يوهمون المسلمين أن الروس والأمريكان قوى عظمى لنزداد وهنًا على وهن ونخشى أن نقاتلهم. والله في عدة مرات، أقسم بالله، شاهد على ذلك بعيني، في عدة مرات يولون فرارًا أمام هؤلاء الشباب، شباب التوحيد عندما آمنوا بالله ﷻ وحملوا دماءهم ورؤوسهم على أكفهم لنصرة هذا الدين.

ولا أطيل عليكم فالحديث في هذا كثير والأدلة كثيرة، وإنما أردت أن يزول عنا هذه الهالات التي وضعت على الكفار ومنها ما وضع على إسرائيل. فهذه ذلة الروس، وأما اليهود فهم أذل وأشد ذلة بنص كتاب الله ﷻ.

وبعد أن علمنا ذلك، وعلمنا الأجر العظيم للجهاد والذي جاء فيه حديث رسول الله ﷺ، يعلمنا كيف ينبغي أن نكون بالنسبة للجهاد. فقيسوا على أنفسكم هل أنتم كما كان رسول الله ﷺ في شوقه للجهاد

وهو الذي ينبغي أن يقتدى به. جاء عنه في الحديث الصحيح في «صحيح مسلم»: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا**»[1].

انظروا كيف كان رسول الله ﷺ، وبما علل القعود عن الجهاد عندما كان يقعد، لم يعلله إلا بالمشقة على المسلمين، إذ أنهم يجدون مشقة لأنهم لم يذهبوا للجهاد، لم يجد ما يحملهم عليه: «**لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ**». فكان المسلمون الصادقون يجدون في أنفسهم مشقة عظيمة عندما لا يذهبون للجهاد مع رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقصد هذا المعنى ويقول إنه ما كان قد تخلف أبدًا في أي غزوة وقد خرج من الغزوات في عهد رسول الله ﷺ بعد أن شرع الجهاد بما معدل أنه كان يخرج في كل بضع وأربعين يوم سرية أو غزوة للجهاد في سبيل الله، أي أنّ حياته ﷺ كانت جهاد دائم. وهكذا يعلمنا وهو على فراش الموت لأهمية الجهاد وهو ينتظر الرحيل ويقول: «**إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ**»[2]، في ذلك الموقف العصيب يوصي بإنفاذ الجيش للجهاد في سبيل الله إلى فلسطين لنواحي مؤتة، يقول ﷺ: «**أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ**»[3].

---

(1) مسلم (١٤٩٦).

(2) المعجم الكبير(٧٨).

(3) الروض الأنف (٥/٥٤٣).

ثم توفي رسول الله ﷺ واستلم الخلافة من بعده أبو بكر ﵁، فيعلمنا نفس الأمر. منذ أول حياته إلى آخر الخلافة الراشدة والأمة في جهاد دائم، ما عطل ذلك أحد من الناس ولا تعللوا بأعاليل وأضاليل لم ينزل بها من الله سلطان.

وأبو بكر عندما استلم الخلافة إلى أن توفي وهو في قتال أهل الروم والفرس، يأتي عليه الموت وهو على فراش الموت، يوصي بنفس وصية رسول الله ﷺ، حتى تعلموا أهمية الجهاد. يقول لعمر، فلما جاء عمر قال: «اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإذا متُّ من يومي هذا فلا تمسينّ حتى تندبنّ الناس مع المثنى»[1]، والندب مع المثنى جهاد في سبيل الله.

وهكذا استمرت الحياة الراشدة جهاد دائم في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﵃. فالجهاد جزء أصيل من هذا الدين، ملازم لحياة الأمة المسلمة في جميع أطوار حياتها، فلا يظنن ظان أنه حالة طارئة تأتي على الأمة يقاتل عندما تغزى، بل ينبغي على الأمة أن ترسل في كل عام، إذا بعد أن تحمي الثغور وتحفظ ديار المسلمين، أن ترسل في كل عام مرة أو مرتين جيشًا إلى ديار الكفار يغزوهم ويشعرهم بعزة الإيمان.

---

[1] تاريخ الرسل والملوك (٣/٤١٤).

وأما ما نحن فيه اليوم، إذا قسناه على ما كان فيه صحابة رسول الله ﷺ بالجهاد، فلم نقم على الطريق المستقيم والجادة السليمة، فاستمر الجهاد ولم يعطل العلم، ولم يعطل بناء المساجد، ولم يعطل الحج. فمن يقول إن الجهاد يعطل تلك الأمور فقد افترى على الله افتراءً عظيمًا، بل أن الأئمة والعلماء كانوا يذهبون مع المجاهدين، كما في «صحيح مسلم» عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري يقول: قام أبي ونحن بحضرة العدو، فقال: سمعت رسول الله ﷺ -اسمعوا إلى هذا الحديث العظيم لعل الله يمن عليكم وتسأم الحياة بعيدًا عن الجنان بعيدًا عن أبواب الجنة إن كنا مشتاقين للجنة- يقول ﷺ: «**إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»[1]. فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى، أأنت سمعت ذلك من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فذهب وقرأ على قومه السلام وكسر جفن سيفه وذهب فقاتل حتى قتل رحمه الله». والشاهد من الحديث أنّ إمام الرواة، إمام المحدثين رحمه الله ورضي الله عنه أبو هريرة، كان في الصفوف يحرض الناس على الجهاد ويحثهم على أن يلقوا بأنفسهم في سبيل الله، فينبغي على علمائنا وعلى طلاب العلم أن يكونوا بين صفوف المجاهدين، يحرضونهم ويعلمونهم الجهاد وأمور دينهم.

---

(1) مسلم (١٩٠٢).

ولا أطيل عليكم في هذا الباب، بل ينبغي أن ترجعوا إلى كتب الصحاح التي فيها أحاديث رسول الله ﷺ المحرضة على الجهاد. ولكن لنتساءل: لمَ لا نجد في أنفسنا هذا الشوق العظيم للجهاد كما كان يجده صحابة رسول الله ﷺ، علمًا أنه وجده من فضل الله في هذا الزمن بعض إخواننا.

فالحديث باختصار أنّ العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه قد غزي بالغزو الفكري الذي أبعد الناس عن الجهاد، ولم يسلم من ذلك أحد، بل أشد من ذلك، فقد غزي العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه غزوًا عسكريًا استعماريًا من الإنكليز والفرنسيين والإيطاليين وأعوانهم أخزاهم الله، ولم ينج من الاستعمار المباشر إلا شمال المملكة وبلاد الحرمين، وكان يعتبر في حساب من نجا من قبل بلاد أفغانستان.

فعندما دخل المستعمر الكافر بجنده ودباباته، بذل كل ما في وسعه لإهانة الناس وإذلالهم وطمس الجهاد، يحدثني مَن أثق به من العلماء وقد شارف على السبعين، أنهم عندما كانوا في بلاد العالم الإسلامي في إفريقيا، كان الفرنسيون يضعون على رؤوسهم من أبناء جلدتهم من المنافقين من يمنعوهم عن تعليم الناس الجهاد. فإذا وصلوا إلى كتاب الجهاد في الفقه تجاوزوه ولم يستطيعوا أن يدرسوهم حرفًا، وإذا وصلوا إلى كتاب الجهاد في كتب الحديث تجاوزوه ولم يستطيعوا أن يدرسوا منه حرفًا، فنشأ

الناس جهلة في الجهاد لا يرون أمامهم قدوات عملية، ولا علماء يعلمونهم الجهاد، فلم يعرفوا معروفًا ولم ينكروا منكرًا في الجهاد.

بل خيم الذل على العالم الإسلامي، والذل قيد شديد يمنع الناس من إنكار المنكر ومن رفع راية الجهاد ومن دفع الكفار عن ديار المسلمين، وكما يقول الشاعر:

قَيْــدُ العَبِيــدِ مِــنَ الخُنُــوعِ   وَلَــيْسَ مِــنْ زَرَدِ الحَدِيــدِ

وهذا الفارس العبسي المشهور عنترة، عندما كان عبدًا وغزي بني عبس وأخذت إبلهم، قيل قال له أبوه: «كر يا عنترة»، قال: «إنّ العبد لا يحسن الكَرّ، ولكن يحسن الحَلَبَ والصَرَّ»، قال: «كر وأنت حر»، فذهب وقاتل واسترد إبل بني عبس عندما ذهب عنه الذل وقيد الذل.

فإياكم أن تُذلوا المسلمين وتُذلوا إخوانكم من المسلمين وأبناءكم، فمن شب على الذل لا يستطيع دفع ضيم، كما قيل «لا يدفع الضيمَ الذليلُ». فإياكم أن تذموا أبناءكم وإخوانكم في أعمالكم، فإن شبوا أذلاء صدقوا إن حميَ الوطيس لا ينتفع بهم مسلم للدفاع عن هذا الدين وعن بلاد الحرمين، نرجو الله أن يحفظ هذه الحرمين من أذى الكفار والطغاة والخارجين على دين الله.

فهذا من الأسباب المهمة إذ أنّ الناس تركوا الجهاد، تأثروا بما أصيبوا به، لذا ينبغي الرجوع إلى المعين الصافي، إلى كتاب الله ﷻ وإلى سنة رسوله ﷺ. وأما كثير –حتى ممن يكتب في الجهاد في هذه الأيام– متأثر بهذا الضغط النفسي الذي مسيطر على العالم الإسلامي؛ جو الخنوع والذلة، ولا أشد من أن نكون في هذه الذلة دليلًا من أن المسلمين في فلسطين يُذبحون ويُهانون ويعتدى على مسرى رسول الله ﷺ ولا يحرك المسلمون ساكنًا.

فحتى نسترجع مسرى رسولنا ﷺ ينبغي أن تزول الذلة من أنفسنا أولًا، ونتبع صحابة رسول الله ﷺ ولا سيما الخلفاء الراشدين، ونأخذ منهم حكم الجهاد وفقه الجهاد. ولا بد ممن يفتي في الجهاد أن يكون فقيهًا في أمور الدين، عالمًا بأحوال الدنيا والجهاد. أما رجل لا يعرف الجهاد، ما سمع عنه كما ينبغي أو لم يجرب، يضل ويُضل إلا من رحم الله. وهذا قد ورد في كتاب الإمام المجاهد العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفتاوى الكبرى في المجلد الرابع في كتاب الجهاد يذكر هذه المسألة: ينبغي أن يكون الإنسان فقيهًا في أمور الدين وعالمًا بأحوال الدنيا والجهاد كما قال رحمه الله. وأما غزو الكفار لديار المسلمين، فيفسدون الدين والدنيا، يقول رحمه الله في «الفتاوى الكبرى»: «وأما دفع العدو الصائل

الذي يفسد الدين والدنيا فلا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه»[1]، يفسد الدين والدنيا ولا تبقى مساجد ولا يبقى مسلمون يقيمون حُكمَ الله وراية لا إله إلا الله، فلا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه كما يقول رَحِمَهُ اللَّهُ.

فكيف السبيل إلى العزة التي أمرنا الله بها؟

قد يسر الله عليكم من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طرقًا ميسرة توصلكم إلى تعلم الجهاد. فمن ذلك أن تذهب إلى «رابطة العالم الإسلامي»، فبأمر من الأمير سلطان –جزاه الله خيرًا– يعطون تخفيضًا ٧٥٪ من قيمة التذكرة لكل مَن يريد أن يذهب لكي يغيث إخوانه. وكل مَن ذهب إلى أفغانستان –من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– كثير منهم استفاد من هذه التذاكر. تذهبون بالطائرة إلى إسلام أباد، إذا وصلتم هناك تجدون إخوانكم بانتظاركم في المطار، لا تحتاج دليلًا حتى، يأخذونكم من المطار إلى بيشاور ثم إلى معسكرات المجاهدين. فتجدون هنالك إخوانكم وأبناءكم يدربونكم على الأسلحة كما أمر الله، لأنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا**»[2]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن

---

[1] الفتاوى الكبرى (٥/٥٣٨).

[2] البخاري (٣٥٠٧).

قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ففي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**»(١). فماذا أعددنا عندما أمرنا الله بهذا الإعداد؟ وهو أبجديات الجهاد لا بد منها، كما لا بد ممن يدخل الجامعة أن يدرس في الابتدائية، لا بد من ممن يذهب للجهاد أن يخلص نيته لله ﷻ وأن يتعلم أبجديات الجهاد كما أمر الله.

وقد توعد الله ﷻ الكفار والمنافقين وذمهم ذمًّا شديدًا مخيفًا عندما لم يذهبوا للجهاد ولم يعدوا العدة، فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ [التوبة: ٤٦]. نرجو الله أن لا نكون من المنافقين، وأن نكون ممن يعد العدة لنصرة هذا الدين. فلو قلنا لكم اليوم وأنتم تتحسرون على إخوانكم في فلسطين: هذا باب الجهاد قد انفتح في فلسطين، فماذا أعددتم لذلك؟

فتذهبوا إن شاء الله، تتدربوا على السلاح، ثم تدخلوا في أرض أفغانستان، في معسكرات إخوانكم من المجاهدين الأفغان والعرب، ترابطون في سبيل الله وتحرسون في سبيل الله. وقد صح عنه ﷺ هذا الحديث الذي فيه الأجر العظيم للمؤمنين في سبيل الله، منة منه وكرامة،

---

(١) مسلم (١٩١٨).

يقول ﷺ: «**مَقَامُ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ خَيْرٌ عِبَادَة رَجُل سِتِّينَ سَنَةً**»[1]. وفي حديث آخر: «**قِيامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَة سِتِّينَ سَنَةً**»[2].

واذهبوا قبل أن يصيبكم ما أصاب أحد التابعين وهو من الأئمة العلماء، وهو على فراش موته وإخوانه يعودونه، بكى. فقيل له: «ما يبكيك؟»، فنظر إلى قدميه وأشار إليهما، قالوا: «ماذا لهما؟» قال: «ها أنا ذا أموت على فراشي وما اغبرت قدماي في سبيل الله. وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُمَا النَّارُ**»»[3]، يحرمهما الله على النار إذا اغبرت قدماه في سبيل الله. وقد صح عنه ﷺ عندما قال لرجل حرس المسلمين ليلة واحدة من أولها إلى الصباح ما نزل عن ظهر فرسه إلا لصلاة أو قضاء حاجة، فقال له: «**قَدْ أَوْجَبْتَ، فَلَا عَلَيْكَ أَلَّا تَعمَلَ بَعدَها**»[4]. فانظروا -يرحمكم الله- إلى هذا الأجر العظيم، وقد صح عنه ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ولا سيما قد أقبل علينا رمضان، اعلموا كيف كان صحابة رسول الله ﷺ يقضون أوقاتهم في الجهاد، يقول رضي الله عنه: «**لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليَّ من أن أوافق**

---

[1] المستدرك (٢٣٨٣).

[2] مصنف عبد الرزاق (٩٥٤٣).

[3] البخاري (٢٨١١).

[4] المستدرك (١٨٤٨٧).

ليلة القدر عند الحجر الأسود»[1]. فاذهبوا واغتنموا هذه الفرصة، فاجمعوا بين الرباط في سبيل الله والحراسة وتغبير الأقدام وتعلم الجهاد وطلب العلم، ولا سيما إن يذهب العلماء إن شاء الله ينفع الله بهم كثيرًا هناك، إخوانهم الذين ذهبوا كذلك من هنا.. وبعد هذا عندما تذهبون تذوقون طعم الجهاد، وتذوقون كيف كان صحابة رسول الله ﷺ يجاهدون حتى نشروا هذا الدين. والله يا إخوة كثير من آيات الجهاد ما كنا نعلمها حتى ذهبنا، من ذلك عندما كنت أنظر إلى العدو وقذائف المسلمين تصيبهم، والله كانوا يولون الدبر بسياراتهم وشاحناتهم العسكرية، تجد سرورًا عظيمًا ما يوصف، إلا أننا شعرت يومها بقوله ﷻ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: ١٤].

وبعد ٢١ يوم من القتال هَزم الله الأعداء أمام هذه الفئة القليلة من المسلمين، فعند ذلك يا إخوة شعرنا بسرور عظيم وفرح عظيم من الله ﷻ كما يقول ﷻ وشعرنا بقوله الذي يقول فيه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]، والله يا إخوة أنّ بعضنا لا يملك نفسه من أن يبكي عندما يذكر صغر نفسه وعظمة الله ﷻ، جبار السماوات والأرض، فما نكون نحن في هذه الأرض؟ يوحي سبحانه إلى

---

[1] سنن سعيد بن منصور (٢٤١٠).

الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، من أجل هذه الفئة المؤمنة في يوم بدر أوحى ﷻ وهذه كرامة للمؤمنين إلى قيام الساعة الذين يقاتلون في سبيل الله من المؤمنين. وكذلك علما قوله ﷻ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ [الصف: ١٣]، فاذهبوا واغتنموا الفرصة، فقد مكث بعض صحابة رسول الله ﷺ يتذاكرون فيما بينهم، يقولون: لو نعلم ما العمل الذي إن عملناه أحبنا الله، هل تريدون أن تعلموا ما هو العمل؟ فلم يتركهم الله ﷻ أن يقولوا إلا وأوجب عليهم العمل، فأنزل الله ﷻ مبينًا عن العمل الذي إن عمله المسلم أحبه الله، وأعظم بها من بشرى أن يحبك الله ﷻ، فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤]، فاذهبوا حتى يحبكم الله ﷻ وقاتلوا في سبيله. فهذا هو الطريق لاسترجاع بلاد المسلمين ونشر هذا الدين، وهذا هو الطريق إن شاء الله لاسترجاع مسرى رسولنا ﷺ.

وأما أفغانستان، فمما يؤسف له أن الكفار يعلمون أهمية الجهاد وخطره عليهم أكثر مما يعلمه المسلمون ويسعون له. فقد كان كفار الغرب إلى قبل عدة أشهر قليلة مسرورين من قتال المجاهدين للروس، ويعدون ذلك انتقامًا لهم بدل حرب فيتنام. ولكن على العداء الشديد الذي بين الروس والأمريكان، وجدوا في التقارير التي رفعت لهم وخاصة من مجلس

الأمن القومي أن المجاهدين قد بدؤوا يشبون عن الطوق، وسيرفعون راية الجهاد، وسيكوّنون دولة إسلامية تؤثر على مصالح أمريكا في الشرق الأوسط. فينبغي أن يضغط عليهم بكل ما أوتينا من قوة. واتفقوا مع الكفار، مع الملحدين الروس رغم عدائهم على هذا الأمر، وخرجوا بما يسمى السلام وانسحاب الروس. فإياكم أن تنخدعوا به، فسأذكر لكم تفاصيل الخطة التي يريدون أن يستغفلوا بها المسلمين، ولكن فضحهم الله وكشفهم.

فاتفقوا على قتل المسلمين والمجاهدين وكتم هذا الجهاد الذي رفع رؤوس المسلمين، فجاءهم مندوب وزارة الخارجية الأمريكية، رجل يسمى **أرمكوصت**، جاء إلى المجاهدين يريد أن يقابلهم ليوقعهم في هذه الحيلة. فرفض المجاهدون –أعزهم الله– مقابلته، فأصر عليهم فلم يرضوا، حتى توسط برئيس باكستان وقال: «إن لم تأتوا سنأتي إليكم، فجلسوا معه». وإذا به جاء يقول لهم: «نحن قد استخدمنا جميع قوتنا للضغط على الروس حتى يخرجوا من أفغانستان وينسحبوا، وقد وافقوا الآن...»، كذبًا وزورًا، لو كان ذلك صحيحًا لانسحبوا قبل تسع سنوات. فهم الآن سينسحبون تحت نظر الأمم المتحدة ورقابة دولية، وتقفل الحدود لأنهم اشترطوا علينا ألا تدعموا، وبالتالي يخرج الروس تتركون لهم الفرصة حتى يخرجوا.

فاسمعوا إلى جواب المجاهدين: قالوا له -جزاهم الله خيرًا-: «عندما بدأنا الجهاد بدأناه بالعصي والحجارة ولم نكن نعرفكم ولم نستأذنكم، حتى نستأذنكم الآن بعد أن منّ الله علينا بهذا النصر أن نوقف الجهاد. فالجهاد في سبيل الله ليس من أجل شرق ولا غرب». فأسقط في يد هذا الخبيث، وحاول معهم تكرارًا ومرارًا، ثم بدأ يستخدم عليهم أسلوب الضغط. وقال لهم إنّ «الروس والأمريكان قد اتفقوا على إنهاء القتال وعلى أن تقفل باكستان الحدود وأن توقع الاتفاقية التي فيها قفل الحدود من أهم البنود مع خروج الروس من طريق كابل إلى روسيا». كذبًا وزورًا! لن ينسحبوا وسأذكر لكم كيف هذا. فقالوا له -جزاهم الله خيرًا-: «نحن قد تبايعنا مع الله ﷻ على القتال، وقد بعنا أنفسنا واشتراها الله إن شاء الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]. نحن قد تبايعنا مع الله ﷻ على القتال، وقد تعاقدنا على الموت، والذي يتعاقد ويتبايع على الموت لا يفكر فيكم، لا في روسيا ولا في أمريكا، اتفقوا أو لم تتفقوا فهو سواء، فأنتم لا تساوون عند الله جناح بعوضة». ثم بدأت الضغوط عليهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- وبدؤوا يهددون حتى يدخلوا إلى الداخل بلا طعام ولا سلاح. وتأثر المجاهدون من أن تتكالب الدنيا عليهم أشد التأثر،

وقالوا كلمة مشهورة، قالوا: «إن قُفلت أبواب الأرض فأبواب السماء مفتوحة». نرجو الله أن يقويهم ويمدهم بنصر من عنده. وبدؤوا وصمموا على الدخول إلى داخل أفغانستان يعدون العدة لقتال الكفار.

وأما الروس أخزاهم الله الذين اتفقوا مع الأمريكان، فهم اتفقوا على أن يخرج بعض الروس من كابل أمام الأمم المتحدة والإعلام العالمي، وبدؤوا يدخلون مجموعات كبيرة من المحافظات الجنوبية في جنوب روسيا من الجمهوريات الإسلامية المحتلة، من نواحي بخارى التي لها فترة طويلة قد نشأ أكثر من جيل في ظل الشيوعية. فالذين نشؤوا في ظل الشيوعية في المدن كثير منهم تشربوا بالشيوعية ودخلوا في الجيش الروسي. فهؤلاء مدربون في الجيش الروسي، أدخلوهم ولغتهم مثل لغة المجاهدين الذين في شمال أفغانستان، لا يفصل بينهم إلا نهر تقريبًا عرضه مئة متر، نهر جيحون. ووجوههم نفس الوجوه، ولغتهم نفس اللغة يتكلمون الفارسية والأوزبكية، ولكن أولئك يضيفون إليها الروسية. فلم يدخلوهم بلباس الجيش الروسي، بل نزعوه منهم وأعطوهم لباسًا من المليشيات الأفغانية، الذي يراه يظنه أفغاني من أهل الشمال مع الحكومة من العملاء، وهو من الجيش الروسي دخلوا لمخادعة المجاهدين. وقد يدخل منهم عدد كبير، والمعد الذي يدخل أكثر من ١٥٠ ألف من الجيش الروسي يدخلون باللباس الأفغاني على أنهم أفغان مخادعة للمسلمين. فيبثون كلمة

الانسحاب وكلمة السلام مخادعة للمسلمين حتى يثبطوا من معنويات المجاهدين ويثبطوا من همم المسلمين عن دعم إخوانهم.

فإياكم أن تنطلي عليكم هذه الخدع، ولا تصدقوا الإعلام العالمي لأنه يشن حربًا على المسلمين في ذلك. وكفاكم عبرة إذ ضاع كثير من إخواننا في فلسطين بهذه النغمة. إذ يرددون عليهم السلام، والسلام الدولي، والسلام في الشرق الأوسط، والأمن والسلام الدولي. كله كذب وزور، ضيعوا فلسطين بهذا الكلام. واسمعوا إلى قول تلك الأرملة التي ذاقت المآسي من هذا الكلام، توصي بنيها إذ تقول:

ســـــــــيحدثونكَ يا بُــــــــنيَّ عـــــــــن الســـــــــلامْ

إياكَ أن تُصـــــــــــــغي إلى هـــــــــــذا الكـــــــــــلامْ

صــــــــــدَّقتُهمْ يومًــــــــــا فـــــــــأتتني الخيـــــــــامْ

فإياكم أن تصدقوا كلام هؤلاء الكفار وتخذلوا إخوانكم، ووالله قد جئت من عند إخوانكم، أحمل أمانة أبلغها إياكم، ولو كان المداهنة والسكوت في هذا الدين يسعني، ما كنت والله لأتكلم، فهو أهون علي مشقة، ولكنها أمانة أبلغكم إياها. فهم كما ذكرت لكم عزموا على الدخول، وينتظرون من إخوانهم المسلمين أن يعينوهم بكل ما استطاعوا من قوة، فهذه قد حملتها من رقبتي ووضعتها في رقابكم، تحرضون الأمة

على الجهاد، ولنصرة إخوانكم المسلمين في فلسطين وفي أفغانستان.

والطريق إلى فلسطين بإذن الله ميسور، ووعدنا به من رسولنا ﷺ الذي يقول فيه في الحديث الصحيح: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلُ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ**»، ويقول فيه: «**حَتَّى يَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ**»[1].

فتهيؤوا لذلك اليوم، واذهبوا لنصرة إخوانكم قبل فوات الأوان. وإياكم أن تتعللوا وتتعذروا، فكثرة الأعذار من صفات المنافقين، الذين يقعدون عن نصرة هذا الدين، إذ يقول سبحانه وتعالى في ذمهم، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٩٠]. فالقعود عن الجهاد من صفات المنافقين. فاذهبوا جزاكم الله خيرًا والتحقوا بإخوانكم أولئك الشباب، الذين يصح فيهم قول الشاعر:

فَدَتْ نَفْسي وما مَلَكَتْ يَمِيني ... فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فيهمْ ظُنُونِي
فَوَارِسَ لا يَمَلُّونَ المَنَايَا ... إذا دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ الزَّبُونِ
ولا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ ... صَلُوا بالحَرْبِ حِينًا بعدَ حِينِ

---

[1] مسلم (٢٩٢٢).

جزاهم الله خيرًا، إذ أعادوا إلى هذه الأمة الأمل، برفعهم رايات الجهاد، وفتحهم الأبواب لنصرة هذا الدين. وكأنّ حال إخوانكم المجاهدين في أفغانستان يطلب منكم أن تقابلوا تألب الكفار عليهم، بأن تتأهبوا لنصرتهم، وتلبسوا ثوب الحرب للجهاد معهم، كأنّ حالهم يقول:

تَأَهَّب مِثلَ أُهبَةِ ذي كِفاحِ ... فَإِنَّ الأَمرَ جَلَّ عَنِ التَلاحي

سَأَلبَسُ ثَوبَها وَأَذُودُ عَنْهَا ... بِأَطْرافِ الأَسِنَّةِ والرِّمَاحِ

أَتَتْرُكُونا وَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنا ... ذِئابُ الكُفْرِ تَأْكُلُ مِنْ جَناحِي

ذِئابُ الكُفْرِ مَا فِتِئتْ تُؤَلِّبْ ... بَني الأَشْرارِ مِنْ شَتَّى البِطاحِ

فَأَيْنَ الحُرُّ مِنْ أَبناءِ دِيني ... يَذودُ عَنِ الحَرائِرِ بالسِّلاحِ

وَخَيْرٌ مِنْ حَياةِ الذلِّ مَوْتٌ ... وَبَعْضُ العَارِ لَا يَمْحُوهُ مَاحِي

فقدّموا لأنفسكم بين يدي الله ﷻ، لا تأتوا يوم القيامة وصحائفكم خالية من ذروة سنام الإسلام، من هذا الجهاد العظيم، مما كان يتمناه رسولنا ﷺ.

وفي الختام، أذكر لكم حديث رسول الله ﷺ، المبين لأهمية الجهاد والشهادة في سبيل الله، حيث صح عنه في البخاري ومسلم قوله ﷺ:

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ

أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»[1]، لعظيم منزلة الشهادة في سبيل الله. وهو ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وصاحب الشفاعة العظمى، والذي بقتله ينقطع العلم من السماء عن الأرض، وينقطع الوحي من السماء عن الأرض، يتمنى أن يقتل شهيدًا، يعلم الناس والأئمة والعلماء أهمية القتال في سبيل الله. وفي الحديث الآخر، وهو المفتدى بأمهاتنا وآبائنا ﷺ، لعظيم مكانة المجاهد يفتدي المجاهد في سبيل الله حيث يقول يوم أحد: «**ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[2].

والآن عليكم واجب عظيم جدًّا، أن تعدوا العدة في أنفسكم وتتعلموا الجهاد، وتقاتلوا الكفار في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك سهل كما يسره الله على أجدادنا صحابة رسول الله ﷺ. والحرب لها طرق عدة، منها العسكرية، ومنها الاقتصادية، ومنها الإعلامية، فينبغي أن نبذل جهدنا في كل أمر بقدر استطاعتنا. وأما العسكرية فقد ذكرت لكم، وعندما تذهبون للجهاد وتتعلمونه، ترتفعون في سلم الجهاد، فتعلمون عندها كيف نستطيع أن نرد فلسطين. وأما أحدثكم عن أمور لم تعلموها، يصعب الشرح، ويصعب وصف المواقف والكرامات التي نزلت على إخواننا في الجهاد، والسكينة التي ثبتنا الله بها في تلك المعارك.

---

[1] مسلم (١٨٧٦).

[2] الترمذي (٣٧٥٥).

وهناك حرب أخرى هي الحرب الاقتصادية، فلا يشك عاقل في أهميتها. ولا يشك عاقل في أنّ هؤلاء الأمريكان والإنكليز أخزاهم الله، بعد أن قاطعنا اليهود في إسرائيل اقتصاديًّا، قاطع المسلمون في العالم الإسلامي إسرائيل اقتصاديًّا، فتدهورت عملتهم وانكسرت ميزانيتهم وكادوا يسقطون، لولا أن تدخل كفار الغرب وعلى رأسهم أمريكا في دعمهم اقتصاديًّا، بل إنّ ميزانيتهم العسكرية والاقتصادية جزء كبير منها من أمريكا. فينبغي علينا أن نستخدم نفس الأسلوب كما استخدمه الإمام الشهيد الملك [فيصل] عليه رحمة الله، ونرجو الله أن يكون شهيدًا، إذ قطع البترول عن أمريكا وعن الكفار عام ١٩٧٣م من أجل أن يصلي في مسرى رسول الله ﷺ، يحدثني مَن أثق به، وهو الشيخ محمد محمود الصواف، وكان من جلساء الملك –عليه رحمة الله– يقول محدثًا عن الملك كان كثيرًا ما كان يبكي بعد صلاة المغرب ويقول: «ماذا أقول لربي غدًا إذا سألني عن مسرى رسول الله ﷺ»، فهل أعددتكم لذلك جوابًا؟ وأنتم تسمعون يوم أن كان رحمه الله في مواسم الحج وعلى المنابر كان يحث المسلمين على الجهاد ويتمنى أن يقتل شهيدًا في سبيل الله كما تمنى رسولنا ﷺ، فلكم في هؤلاء قدوة حسنة في رسول الله ﷺ والصحابة ومَن تبعهم بإحسان.

وأما شن الحرب الاقتصادية فينبغي على المسلمين إن شاء الله وهو أمر سهل ميسور جدًّا، فماذا عليك بدل أن تشتري السيارة الأمريكية أو الإنكليزية، أن تشتري سيارة من دولة أخرى لا تجاهرنا العداء؟ أو ثلاجة أو مكيف، كل هذه الأمور حتى الطعام كالتفاح الأمريكي أو المأكولات والحلوى وألعاب الأطفال، ماذا يضركم لو فعلتم هذا؟ ماذا تجيبون ربكم غدًا إذا سألكم عن أموال دفعت للأمريكان، أُخذت من أموالنا وتعطى لليهود حتى يذبحوا إخواننا من هؤلاء النساء وهؤلاء الأطفال؟ ماذا تجيبون ربكم غدًا؟ فابذلوا وعفا الله عما سلف.

فابذلوا وعفا الله عما سلف. فإن كنا اشترينا شيئًا من هؤلاء الكفار الذين يدعمون اليهود حتى يذبحوا هؤلاء الأطفال الصغار، فنرجو الله أن يغفر لنا ونتوب من ذلك، ونبدأ من اليوم بحث الأمة على الجهاد وتحريضها على الجهاد، وأن نبقي من أموالنا جزءًا ثابتًا لدعم المجاهدين في كل مكان، فهذه أبواب اللجان مفتوحة بفضل الله في كل مكان. وتذهب عن طريق الأمير سلمان إلى لجنة لهم أخرى هناك في بيشاور وتدفع للمجاهدين بفضل الله[1].

---

[1] يقول الشيخ أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٧٠٩-٧١٢) في بيان صفة الدعم السعودي ومنهج الشيخ أسامة في هذا الشأن: «وقد أفتى الشيخ [عبد الله عزام] للأفغان أن يأخذوا المساعدات من أمريكا ومن المرتدين من حكام العرب ومن سواهم. وأما

الجمع الجهادي العربي فقد كان جمعًا معطيًا لا آخذًا، فقد انهالت عليه التبرعات بمئات الملايين من الدولارات من زكاة أموال المسلمين وتبرعاتهم. فأخذ الجمع حاجته من مصاريف الجهاد والإعداد وكفالات أسر المجاهدين والشهداء العرب وأنفق أكثر المال على الجهاد الأفغاني ذاته... أما الشيخ أسامة فقد أخذ حظًّا أكبر من هذه التهمة [التبعية للسعودية ومن ثم أمريكا] وذهب الإعلام مذاهب شتى في تهمته... والحقيقة أنّ المخابرات السعودية كانت تشرف على مساهمات السعوديين، وتداخلت عناصرها من خلال الإسلاميين السعوديين، نتيجة حجم المساعدات الواردة من السعودية.. وكان التعاون مع الجهات الرسمية السعودية قائمًا فعلًا. وتتحدث التهم والخيالات الإعلامية عن ربط المخابرات السعودية لابن لادن بالمخابرات الأمريكية... بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلًا موظفًا رسميًّا في «CIA»! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السعودية واستقروا فيها بعد ما سمي «حرب تحرير الكويت»، وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الديني والوطني! وذهب البعض أبعد من هذا، ليعتبروه ما زال عاملًا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أو لم يشعر، وأنّ الاستخبارات الأمريكية أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العرب والمسلمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق!!! واستشهدوا على ذلك بأنهم لم يعثروا عليه حتى الآن عمدًا!! إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات واللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة... كان الشيخ أسامة بن لادن– فرج الله كربته وحفظه– قد بدأ مشواره إلى أفغانستان بعيد احتلال الروس لها مقدمًا للتبرعات المالية. وقرر –فيما بلغني عن الثقات ممن عاصروا تلك المرحلة – الاستقرار والتفرغ للجهاد ميدانيا إلى جانب الأفغان مطلع سنة ١٩٨٦م بعد تأسيس الشيخ عبد الله عزام «مكتبَ الخدمات» سنة ١٩٨٤م، فعمل معه مدة، ثم بدا له أن يستقل فأنشأ تنظيم «القاعدة» مطلع سنة ١٩٨٨م بعد ازدياد وفود المجاهدين العرب ولا سيما من السعودية واليمن –وهي ميدان صلاته ومعرفته– إلى أفغانستان. وكانت حركته من السعودية علنية مشروعة، لم تتصادم مع توجهات الحكومة، بل اتفقت مع توجهاتها الأمريكية الأصل في دعم الجهاد الأفغاني. وبقي الحال كذلك إلى سنة ١٩٩٠م حيث شكلت حرب الكويت إشكالًا شرعيًّا وعقديًّا لعموم تشكيلات المجاهدين الأفغان العرب، ومن ضمنهم عناصر «القاعدة» التي تولى التدريب

والتوجيه والتربية الفكرية فيها عناصر من التيار الجهادي من مصر وسورية وغيرها وأثروا في هويتها الفكرية. وقد شكل الشيخ أسامة «القاعدة» لأهداف جهادية في أفغانستان وفي خارجها، وذلك لدعم قضايا الجهاد وتنظيماتها في أماكن عديدة. وكان له مشروعه الجهادي الخاص في اليمن الجنوبي ضد الحكومة الشيوعية السابقة. وتحولت آمال مشروعه لتصبح على مستوى اليمن الموحد فيما بعد. فكان مثله مثل عموم التنظيمات الجهادية ذات المشروع الخاص. ومن هنا اتخذ من المشاركة في الجهاد الأفغاني ميدانًا للإعداد والتدريب لعناصر مشروعه، مثله مثل باقي الأفغان العرب. كما عمل كغيره للهدف العام، وهو العمل على إقامة دولة إسلامية في أفغانستان بعد تحريرها. وقد عملت بنفسي بصورة متقطعة في مجال التدريب العسكري في معسكرات «القاعدة»، خلال الفترة ما بين مطلع ١٩٨٨م و١٩٩١م. كما عملت محاضرًا أيضًا في المجالات المنهجية والسياسية الشرعية ودروس حرب العصابات فيها وفي غيرها من التنظيمات. والمعسكرات، واحتككت بمعظم الجهاز المؤسس والكادر العامل في إطار الجهاد العربي الأفغاني. ولم يكن «للقاعدة» في حينها أي توجهات أخرى خارج أفغانستان ميدانيًّا، ولم يكن للشيخ أسامة مشروعًا مباشرًا إلا اليمن. بالإضافة للدعم المادي لقضايا وجماعات جهادية في أماكن كثيرة، وهذا في حدود اطلاعي الذي أعتقد أنه كان قريبًا جدًّا من حقيقة الواقع لقربي من الشيخ آنذاك فقد كنتُ أحد أعضاء الصف الأول فيها حول الشيخ... كانت ساحة الجهاد العربي في أفغانستان أيام جهاد السوفييت متداخلة جدًّا. وكان دور السعودية ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها الاستخباراتية والعسكرية كبيرًا. وكان كثير من مسؤوليهم على علاقة عمل مباشرة مع إدارات العمل العربي، الذي كان الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة في رأس إدارته، وكانا –والآخرون من القيادات– يرون ذلك مفيدًا لدعم الجهاد الأفغاني، الذي لا يخفي في ثناياه سرًّا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدعم له من الاستخبارات السعودية أو الباكستانية. وأما مَن كان لهم مشاريع جهادية خاصة فكانوا على النقيض في قناعتهم. فلم يكونوا على تماس بهؤلاء ولا نظروا إليهم بعين الارتياح وكنتُ من هذا الفريق رغم قربي من الدائرة الأولى حول الشيخ أسامة في حينها وإلى ١٩٩١م. وأما أنّ هناك أمريكان قد دربوا المجاهدين العرب من جماعة القاعدة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة. إذ لم يكن هذا ليكون مقبولًا

ولا على سبيل المزاح؛ فالوسط الجهادي العربي الذي تسيطر عليه أفكار الولاء والبراء والمدرسة السلفية الجهادية كان متوترًا تجاه بعض الشخصيات الحكومية السعودية التي تأتي لتقديم الدعم وربما دخلت بعض المضافات أو المعسكرات العامة المفتوحة (مثل الملحق العسكري في السفارة السعودية أبو مازن) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانب أو أمريكان!... توقيتُ التغير الفكر والمنهجي لدى الشيخ أسامة، والذي انعكس موقفًا وتوجهًا عليه وعلى «القاعدة» ضد أمريكا فيما بعد: كان هناك عاملين أساسين قد سببا ذلك وهما بتسلسل الأهمية: ١. أنّ الشيخ أسامة قد بنى «القاعدة» على جهود كوادر من تنظيم «الجهاد» المصري أساسًا، مع بعض الذين ساهموا في التدريب من كوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى. ولم يكن معظمهم أعضاء في «القاعدة»، وإنما على سبيل التعاون وتبادل المنافع. فقام هؤلاء الجهاديون –وكنت من بينهم لفترة– ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية، وغيرها من الأمور السياسية الشرعية، وفقه الواقع في تلك المعسكرات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين!

فأثروا مع الوقت بكتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة «القاعدة» الشبابية. ثم انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة مع الوقت، والذي كان قد حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشباب السعودي الذي جاء للجهاد آنذاك يحمل منهج وبصمات فكر الصحوة الإسلامية في السعودية، وهي مزيج فكر «الإخوان المسلمين» و«السرورية» ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين. وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة. وكان هو وعموم المجاهدين السعوديين يعتبرون أن الحكومة السعودية شرعية، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون، على فسقهم ومظالمهم. ويكنون احترامًا شديدًا للعلماء الرسمين في هيئة كبار العلماء، ويلتزمون بفتاويهم. ولم يكن بيننا كجهاديين وبين أولئك الأخوة ومنهم الشيخ أسامة ذاته من حملة هذا الفكر قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرة الجهاد الأفغاني، ولكنّ التناقض المنهجي والاختلاف في الفكر الجهادي وفهم الواقع ومنطلقات السياسة الشرعية كان جليًّا بيننا –كجهاديين– وبينهم.. والذي حصل مع الوقت أنّ الشيخ أسامة –حفظه الله– تدرج في القناعة وهضم الفكر الجهادي، وتقبله ثم تبناه ثم صار أحد رموزه. وأظن أنّ

مما ساعد على ذلك -إضافة للتأثير والاحتكاك بينه وبين الجهاديين- كان العامل الثاني وهو: **٢**. موقف السعودية ومؤسساتها الحاكمة وعلمائها الرسميين من تداعيات حرب الكويت ووجود القوات الأمريكية في السعودية. فإنّ ما تبع ذلك من تحولات، كشفت له حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية. وفهم بحكم ألمعيته وإدراكه للواقع، وذكائه الحاد. أبعاد أهداف الوجود الأمريكي في المنطقة،ووفرت له فترة الإقامة في السودان (١٩٩٢-١٩٩٦م) مدة كافية للتفكير. انتقل خلالها من المعارضة الإعلامية اللينة لحكومة آل سعود مع الاعتراف بشريعتهم (انظر بياناته باسم «هيئة النصيحة والإصلاح» (١-١٠))، إلى الدعوة للإصلاح بشدة وجدية في توجيه الخطاب الحاد والقاسي للسلطة الحاكمة ومؤسستها الدينية الرسمية المنافقة..(انظر البيانات (١١-١٧) وانظر كتاب «شهادة قادة الجهاد والإصلاح في بلاد الحرمين»)... ثم بدأ الأمريكان بالضغط على السودان لطرد الشيخ أسامة، بعد ما باتت مصالحهم تتعرض لبعض الهجمات من بعض الشباب السعودي المجاهد الذي هضم الفكر الجهادي في أفغانستان وتحول إلى مجال التطبيق، ولم يكن لأولئك الشباب أي علاقة عمل تذكر بالشيخ أسامة ولا القاعدة، من مثل الذين فجروا مجمع سكن الأمريكان في العليا في الرياض، أو قاموا بعض الأعمال المحدودة. وكان الأمريكان والحكومة السعودية يعرفون ذلك. فلمّا طردت السودان الشيخ أسامة وعاد إلى أفغانستان في عهد «طالبان» ١٩٩٦م. كان حوله مجموعة من الذين يحملون فكر المواجهة الأممية مع أمريكا. وحلفائها وكان الشيخ أسامة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التيار الجهادي، وفهمه للواقع إلى أنّ الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة ومنها النظام القائم في السعودية يمر حتمًا بمواجهة أمريكا. وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة: **(١)** العلماء يضفون الشرعية على آل سعود. **(٢)** وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة. وهناك إحدى طريقتين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع: إما مواجهة آل سعود وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم، لإسقاط شرعية آل سعود وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس لأكثر من ٧٠ سنة. وإما طريق أسلم وهو ضرب الوجود الأمريكي.. فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم، في أعين المسلمين في

ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، وليبلغ الحاضر الغائب، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[**الأسئلة**]

يقول السائل: «هل أمريكا حقًّا تساعد المجاهدين وما موقفها من هذا الجهاد؟

الشيخ أسامة بن لادن: هي تساعد الكفار، هي تساعد اليهود، وإن قاطعتموهم اقتصاديًّا، ستكثر البطالة ويزداد أرقامها في أمريكا. والأمريكان شعب يقرؤون، فسيعرفون أنّ مواقفهم العدائية للإسلام لا تذهب هكذا كأنما يعاملون غنمًا، بل سيجدون رد الفعل من الشعب

بلاد الحرمين؛ فتدافع المؤسسة الدينية عنهم، فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحًا أمام الناس. واختار الشيخ أسامة الخيار الثاني، وأعتقد أنه كان مصيبًا إلى حد كبير. يقدّر هذا مَن يفهم الأوضاع في السعودية ومكوناتها الدينية والاجتماعية والسياسية. كما كان الشيخ أسامة قد اقتنع بعد درس سقوط الاتحاد السوفييتي، ورأى كيف سقطت كل الحكومات الديكتاتورية في دول حلف وارسو بسقوطه، مثل ما حصل في ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وسواها. واقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافة مكونات النظام العربي القائم، وسواها من القائمة في بلاد العالم الإسلامي. فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد على جهاد أمريكا. وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحرب مع «رأس الأفعى» -كما دعاها- وليس مع ذيولها الكثيرة».

المسلم إن شاء الله. وسيضغط الشعب الأمريكي الكافر هذا على حكومته حتى يحاسبه على هذه المواقف العدائية للأمة الإسلامية. فأدوا ما عليكم ويبارك الله في أعمالكم إن شاء الله ﷻ. وتتكدس بضائعهم وآلياتهم وسيارتهم بإذن الله ﷻ.



يقول السائل: «كيف يستطيع الراغب في الجهاد أن يذهب؟».

الشيخ أسامة بن لادن: تتصل بـ«الرابطة» في الرياض فيؤمّنون لك التذكرة المخفضة، أو تتصل بـ«هيئة الإغاثة» في جدة على تلفون «٦٥١٥٤١١». تتصل بمسؤول لجنة أفغانستان يبينون لك -بإذن الله- السبيل، وهو ميسر وقد ذهب كثير من أبناء هذا البلد إلى الجهاد.



سؤال: «كيف يستطيع المجاهد أن يجاهد بعد قفل الحدود؟».

الشيخ أسامة بن لادن: الأمر يسير جدًّا من فضله ﷻ. إذا قفلت الحدود منّ الله علينا بحدود طويلة أكثر من ألف كيلو، تكثر فيها الجبال والغابات لا يمكن قفلها مطلقًا، لا يمكن. فالأمر ميسر بإذن الله إذا أتيتم نذهب مشيًا إلى أن ندخل إلى أفغانستان، إلى أبواب الجنة إن شاء الله.



سؤال: «يقول ما رأيك في فتاوى بعض العلماء؟».

الشيخ أسامة بن لادن: أنا لا أتجرأ أن أتكلم في فتاواهم، نرجو الله أن يمنّ علينا وعليهم بأن يشرح صدورنا للجهاد. ولكن يقول هل يذهب الإنسان بدون إذن الوالدين؟ إن كان الوالدين لا معين لهما إلا أنت، وإن ذهبت سيموتان ويضيعان، فلا تذهب. ولكني أنقل فتوى الشيخ ناصر الدين الألباني –جزاه الله خيرًا– يقول في غير هذه الحالة ليس لك أن تستأذنهما، تذهب ويقول بأنّ الجهاد فرض عين، نقلًا عن فتوى الشيخ الألباني، ولكن لا أفتي.

***

تقريبًا [نفس] السؤال الماضي، يسأل عن الحدود، الحدود بإذن الله ميسرة كما ذكرنا لكم.

إذن يا إخواننا نتعاهد بإذن الله ﷻ على نصرة هذا الدين وعلى الجهاد في سبيل الله إن شاء الله، ونمضي بإذن الله مجاهدين ويتقبلنا الله مع النبيين والصديقين والشهداء، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

[مقدم المحاضرة]: «بسم الله الرحمن الرحيم، جزى الله خيرًا فضيلة الأستاذ أسامة بن لادن. وأحب أيها الإخوة أن أنبه إلى أمر هام، وهو أنّ الأخ أسامة يحرص الإخوة على أن يعطوه كثيرًا من التبرعات، فلا يمنع في هذا المقام من ذلك، ولكنه يأبى إلا أن تكون هذه التبرعات عن طريق اللجان الرسمية. وتعرفون أنّ من اللجان الرسمية التي افتتحت أخيرًا في الطائف هي «هيئة الإغاثة الإسلامية»، وهذه مقرها أمام مكتب العمل في شارع الستين. في شهر رمضان القريب بإذن الله سيكون دوامها بعد صلاة التراويح، تتلقى التبرعات لأفغانستان ولغيرها من بلاد المسلمين حسب طلب ورغبة المتبرع. والآن حواليكم بعض هذه الصناديق الخاصة بهيئة الإغاثة، والتي يشرف عليها نائب أمير مكة الأمير سعود بن عبد المحسن حفظه الله وحفظ قادة هذه البلاد. نسأل الله ﷻ أن يتقبل منكم ونسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.